

الإيمان برسول الله (صلى الله عليه و سلم)

(الباب الخامس)

من كتاب / قواعد الإيمان

● مقدمة

ما أكثر من كتبوا عن رسول الله ﷺ.. وما أقل من عرفوه لنا !! كتبوا عن صفاته.. وخلقه.. وأدبه.. وسيرته.. وغزواته.. وأفعاله.. وأقواله.. ولم يكتبوا عن قلبه وروحه ﷺ إلا أقل القليل !!! كتبوا عن رسول الله ﷺ كقائد عسكري.. ومصلح اجتماعي.. رئيس دولة.. وزوج مثالي ومعلم فذ.. وأخيراً تمخضوا فقالوا إنه عبقرى فذّ وجلسوا يشرحون عبقريته !!! ونسوا أو لم يدركوا أنه قبل كل ذلك وبعده هو نبى.. بل سيد الأنبياء والمرسلين روحه معلقة بالسماء.. وقلبه مشغول بربه.. هو مهبط الوحي.. ومركز التجليات وكنز الأنوار والأسرار.. ومنبع الهدى والإيمان.. فأية عبقرية يتحدثون عنها وعقله ﷺ موصول بحبل إلى السماء نوماً ويقظة !!!

إن المتحدث عن سيرة رسول الله ﷺ يجب ألا يغفل لحظة واحدة عن أنه إنما يتحدث عن نبى مرسل..، اصطفاه الله تعالى وشرح صدره.. وربّاه.. وأدبه وعلمه.. وأيده.. واتخذه حبيباً..

ومن الذى يستطيع أن يكتب عن نبوة رسول الله
!!! وأنى للحدادين وناقضى الكير أن يتحدثوا عن
الملك !!

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل ونحن نتجاسر
ونتحدث فى هذا الأمر ونسأله تعالى زيادة فى علمنا..
وفتحا فى قلوبنا.. وعفوا عن جهلنا حتى لا نفرط ولا
نقصر...

لقد اصطفى الله تعالى الأنبياء والرسل من البشر كافة..
وجعلهم مصابيح الهدى والنور.. حيث اختصهم جل شأنه
برسالته وبكلامه.. وعصم نفوسهم من كل شر قبل البعثة
وبعدها.. فلا نصيب فيها لهوى أو شيطان.. وجعلهم خزائن
علمه.. وينابيع رحمته.. فهم خير البرية على الإطلاق عليهم
صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته أجمعين..

ومن هؤلاء الأخيار المختارين.. اصطفى الله تعالى
محمدًا ﷺ و بشر به آدم وإبراهيم وموسى وعيسى.. وأدبه

وعلمه.. وشرح له صدره.. ووضع عنه وزره.. ورفع له ذكره..
 وقرن اسمه تعالى باسمه في كل وقت صلاة وإقامة.. وفي
 كل تشهد لصلاة.. إلى يوم الدين.. وأمر المؤمنين بالصلاة
 عليه كما يُصلى هو وملائكته عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
 يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ (١)، وقال له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
 لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾ (٢). وطمأنه وبشّره وقال له ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ
 رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٣)، ومدحه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
 عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ (٤).. وجعله إماماً لجميع الأنبياء والمرسلين.

اختر الله له أنقى النطف.. وأطهر الأرحام.. وأنشأه يتيماً
 بلا والد يرعاه ولا والدة تحنو عليه. لتكون التربية كلها
 والتأديب كله من الله تعالى.. وجعله أمياً لا يقرأ ولا يكتب
 ليعلمه الله تعالى بعلمه علوم الأولين والآخرين.. وشرح له

(٢) سورة الأنبياء آية: (١٠٧).

(٤) سورة القلم آية: (٤).

(١) سورة الأحزاب آية: (٥٦).

(٣) سورة الطور آية: (٤٨).

صدره.. وأظله من حرِّ مكة بالغمام.. وأنزل عليه وحيه
وكتابه.. وجاهد في سبيل الله حق الجهاد وعندما اشتد أذى
المشركين له ولمن آمن معه قبض الله السيدة خديجة رضى
الله عنها إليه وهى التى كانت تؤازره وتواسيه.. ومات عمه
أبو طالب وهو الذى كان يناصره ويحميه حتى لا ينتصر
رسول الله ﷺ بعشيرته.. ولا يأتس بغير الله تعالى.. حتى عمه
أبو لهب الشديد البأس كان من ألد خصومه.. فما نصره إلا
الله.. وما أيده إلا رب العزة والجلال.. يناجى ربه العزيز به
الحبيب إليه وقد دميت قدماه من قذف المشركين
الحجارة عليه وهو بالطائف داعيا إلى الله.. ويقول فى
نجواه ”اللهم انى إليك أشكو ضعف قوتى.. وقلة حيلتى..
وهوانى على الناس.. يا أرحم الراحمين أنت رب
المستضعفين وأنت ربى.. إلى من تكلنى !! إلى عدو
يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى.. إن لم يكن بك على
غضب فلا أبالى.. ولكن عافيتك أوسع لى.. أعوذ بنور وجهك
الكريم الذى أضاءت له السموات والأرض وأشرقت له
الظلمات. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.. أن ينزل بى

غضبك.. أو يحلّ علىّ سخطك لك العتبي حتى ترضى..
ولا حول ولا قوة إلا بك..“

فتهتز ملائكة الأرض والسموات وتضرع إلى الله تعالى أن
ينصر عبده، وينزل ملك الجبال بجبروته وبطشه ويطلب الإذن
من رسول الله ﷺ بأن يطبق جبال مكة على من فيها من
المشركين.. فلا يزيد قول رسول الله ﷺ عن ”اللهم اهد
قومي فإنهم لا يعلمون..“ !! أى رحمة وضعها الله تعالى فى
قلب هذا النبي العظيم !!!

ويسرّى به الله تبارك وتعالى إلى بيت المقدس.. فيصطف
الأنبياء لاستقباله فيصلى بهم إماما وهم خلفه.. آدم وإبراهيم
ونوح وموسى وعيسى وسليمان ويونس وجميع الأنبياء.. هو
إمامهم كلهم.. ويجتبيه الله تعالى بالمعراج إليه فيرحب به
أهل كل سماء ويحتفون بمقدمه عليهم.. ثم يتأخر سيدنا
جبريل عليه السلام أمين وحى الله.. ويقول تقدم يا محمد..
فما منا إلا له مقام معلوم. فيتأخر جبريل.. ويتقدم محمد!!

فيغيب في الأنوار الإلهية ويناجي ربه : التحيات لله..
والصلوات والطيبات لله. فيرد عليه رب العزة والجلال رب
الملك والملكوت : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته... فلا ينسى رسول الله ﷺ وهو في هذه الحضرة
العلوية أحبابه فيقول : السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين.. ويريه الله تعالى الكبرى من آياته. فيمجد ربه
تعالى بخير كلام يقال، ويقر بعبوديته لله تعالى وهو في هذا
التشريف اللانهائي فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ونبيه ورسوله..

ويكون ما قد كان.. ثم يشرع الله تعالى لحبيبه الصلاة
لتكون فيها قرّة عين له وللمؤمنين معه.. فهي مناجاة كل يوم
وليلة لرب العزة والجلال... ويعود فيقابله سيدنا موسى عليه
السلام فيرى الأنوار والأسرار تشعُّ من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو حديث عهد بالمناجاة العلية.. والحضرة
السنية.. فيتملى منه ملياً.. ويستوقفه متملياً من الأنوار القدسيّة
ويطيل معه الحديث عسى أن ينال من نوره.. ويقول له

ارجع إلى ربك يا محمد. ارجع لتزداد نورا وإشراقا وسل ربك التخفيف، ويعود الرسول ﷺ إلى ربه ليشرق على قلبه مزيد من الأنوار والأسرار ويرجع فيستقبله موسى وقد ازداد نوره فيستوقفه ويتملى منه ويقول له ارجع إلى ربك فسله التخفيف.. إرجع يا محمد لتعود إلينا بما لا نحظى به إلا منك.. وما لا نراه إلا بك حتى يقول رسول الله ﷺ.. استحييت من ربي..

وبهاجر ﷺ من مكة.. من أحب البقاع إلى الله وإليه، إلى المدينة المنورة.. مستخفيا عن عيون المشركين وهو يعلم علم اليقين أن الله ناصره ومؤيده.. وينزل في الغار.. مطمئنا أبا بكر رضى الله عنه : لا تحزن إن الله معنا.. ويتفل على قدم أبي بكر وقد لدغه ثعبان فيشفى من فوره بترياق رسول الله ﷺ ويأتي الحمام.. ويأتي العنكبوت تريد أن تنال بركة القرب من رسول الله.. فيبيض الحمام في الغار.. وينسج العنكبوت خيوطه على باب الغار.. ثم يلحقه سُرّاقة بن مالك وقد أغرته مكافأة قريش التي رصدها لمن يأتي بمحمد..

فيشير رسول الله ﷺ إلى فرس سُراقَة.. فتسيخ قوائم الفرس في حجارة الجبل الصماء.. ويطلب سُراقَة الأمان من رسول الله فيؤمّنه ثم يبشره الرسول ﷺ.. ارجع يا سُراقَة ولك سوار كسرى !! مستخف من المشركين وهو يعلم أن ملك كسرى سوف يؤول إلى العرب المسلمين !!!

ويحلّ بالمدينة المنورة بالهدى والنور.. حتى الحرائر أشرفت من فوق الأسطح ترحب وتغنى طلع البدر علينا.. وتتملى من نور رسول الله ﷺ ويتبارى القوم كل يمسك بخطام ناقته ليحلّ رسول الله ﷺ ضيفا عليه فيقول لهم اتركوها فإنها مأمورة !!! وبنى المسجد. وتشع المدينة المنورة بنور الإيمان.. ويجاهد المشركين والمنافقين.. وهو يعلم المنافقين.. ويدعو لهم.. ويرحمهم مع أذيتهم له ولأهل بيته وللمسلمين.. ويخير الله نبيه بين أن يكون نبيا ملكا. أو أن يكون نبيا عبدا، فيختار ﷺ أن يكون نبيا عبدا.. يأكل يوما ويجوع يوما.. فيطلع الهلال ومن ورائه الهلال.. ومن ورائه الهلال ولا توقد في بيت رسول الله نار !!! سريره إدم (جلد)

حشوه ليف.. ينام فيؤثر الحصر في جنبه ﷺ وتتوالى
 المعجزات.. يتفجر الماء من بين أصابعه الشريفة.. فيسقى
 الجيش كله.. ويرد عين سيدنا قتادة وقد سالت على خده إلى
 موضعها فتكون أحسن عينيه حتى يوم موته.. ويتفل على ساق
 ابن الحَكَم المكسورة يوم بدر فتصحُّ لحينها.. ويتفلُّ في عين
 سيدنا على الرمداء فتشفى لوقتها.. ويطعم من مَدَى شعير أكثر
 من ثمانين رجلاً.. ويسقى من كوب لبن كل أهل الصفة وهم
 قرابة السبعين ويتفل في البئر المألحة مياها فتصير عذبة
 سلسبيلاً .. ويقع المخيط من يد السيدة عائشة بالليل فتلقطه
 على نور وجه رسول الله ﷺ وترى أم سليم العرق يتصبب من
 جبين رسول الله وهو نائم فتهم إلى قارورة تجمع فيها عرقه
 المبارك وريحه أطيب من ريح المسك.. ولا تمس طيباً ولا
 عوداً ولا نداً ولا تتطيب إلا بهذا العرق الشريف وريحه لا
 يضاهاه أى مسك.. ويكلم الضب.. والجمل.. والذئب.. وتشهد
 له الشجرة بالرسالة.. ويبكى الجذع الذى كان يستند إليه فى
 حُطبه بمسجده الشريف عندما وقف على المنبر وترك الجذع..
 وسمع له أنين ولم يهدأ إلا بعد أن ضمه الرسول ﷺ إلى

صدره.. وتسابقت إليه النوق بأعناقها يوم النحر فى حجة
الوداع لتتشرف بنحرها بيده الكريمة.. وخطب فى منى خطبة
سمعها كل المسلمين فى خيامهم فى منى.. وينصر بالرعب
مسيرة شهر.. وتسخر له الريح وتؤمن له الجن..

وعندما يدخل مكة فاتحا هازما للشرك والمشركين..
يدخل على ناقته مطأطئا رأسه الشريفة حتى لتكاد تمس
سنام ناقته.. ساجدا لله شاكرا متواضعا.. فيحطم
الأصنام.. ويعفو عن آذوه وحاربوه ويدخل على أم
هانىء جائعا سائلا هل من طعام فتقول إن عندى إلا
كِسْرُ يَابَسَات !! فيقول هَلْ مِنْ إِدَام فتقول ما عندى إلا
الخل.. فيقول هَلُمَّى.. ويأكل الخبز الجاف بالخل
ويقول نعم الأدمُ الخل.. كِسْرُ يَابَسَات.. وخل.. للقائد
المنتصر.. لحبيب الله تعالى وصفيه وخير خلقه !!!

وعندما يحين الأجل وينتقل إلى الرفيق الأعلى.. يكشف
أبو بكر عن وجهه الشريف ويقبله باكيا وريح المسك تنتشر منه

ويقول ﷺ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. طبت حيا وطبت ميتا .. ويبكى أبو بكر.. ويبكى عمر.. وتبكي فاطمة.. وتبكي أمهات المؤمنين.. وتبكي الصحابة.. ويبكى المؤمنون.. وتبكى المدينة كلها.. وتبكى الأرض.. وتبكى السماء.. ويبكى بلال ولا يستطيع الأذان.. ويهاجر إلى الشام سنة كاملة.. وعندما عاد رأى رسول الله ﷺ في الرؤيا يقول له : عام لم تزرنا فيه يا بلال !!! و يلح الصحابة على بلال أن يؤذن.. فيؤذن بلال رضى الله عنه.. فلا يبقى في المدينة كلها رجل ولا امرأة ولا صبي إلا بكى حيننا إلى رسول الله ﷺ.

صلى الله عليك وسلم وبارك يا سيدى يا رسول الله.. وبارك عليك وعلى آلك وصحبك بكل ما أنت أهله يا حبيب الله.. أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ونبيه ورسوله.. أشهد أنك قد أديت الأمانة.. وبلغت الرسالة وجاهدت في سبيل الله حق جهاده.. وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.. لا يزيغ عنها إلا هالك.. فجزاك الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير ما جازى نبيا عن قومه..

سماه ربى محمدا.. وأحمد.. وهو محمد الأخلاق..
وأحمد الشمائل والله تعالى هو المحمود فى الأرض
والسماوات.. لم يخاطبه فى قرآنه باسمه مجردا وما خاطبه إلا
ب"يأىها النبى.. يأىها الرسول.. يأىها المزمّل.. يأىها المدثر.."
وما خاطب أنبياءه السابقين على اختلاف درجاتهم إلا
بأسمائهم مجردة.. وتأمل فى آيات الله التالية :

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا

إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾^(١)

﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٢)

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾^(٣)

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ﴾^(٤)

(٢) سورة المائدة آية : (٦٧) .

(٤) سورة الأنفال آية : (٧٠) .

(١) سورة الأحزاب آية : (٤٥-٤٦) .

(٣) سورة التحريم آية : (٩) .

﴿يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ (١)

﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾﴾ (٢)

وعندما عاتبه ربه تعالى قدم العفو على العتاب فقال :

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ﴾ (٣) وقال سبحانه :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (٤)

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ (٥)

﴿وَنُنَادِيَنَّهُ أَنْ يٰبَارَهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾ (٦)

﴿يٰمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ (٧)

﴿يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (٨)

﴿يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ (٩)

(٢) سورة المدثر آية : (١-٢).

(٤) سورة البقرة آية : (٣٥).

(٦) سورة الصافات آية : (١٠٤-١٠٥).

(٨) سورة ص آية : (٢٦).

(١) سورة المزمل آية : (١).

(٣) سورة التوبة آية : (٤٣).

(٥) سورة هود آية : (٤٨).

(٧) سورة الأعراف آية : (١٤٤).

(٩) سورة مريم آية : (٧).

﴿يَيْحَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (١)

﴿يَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (٢)

فهكذا كان خطاب الله تعالى لأنبياؤه.. وخطابه لخاتم أنبيائه.. حتى معجزات أنبيائه ورسله السابقين أكرم الله بها رسوله بصورة أو بأخرى.

ورد في صحيح مسلم أن أم سليم (أم أنس بن مالك) وكان رسول الله ﷺ يقيل عندها (أى ينام وقت القيلولة في منتصف النهار)، فنظرت فرأت العرق يتصبب من جبينه الشريف فجاءت بقارورة وجعلت تجمع عرقه المبارك، فانتبه ﷺ وسألها عما تفعل، فقالت أجمع عرقك فأتطيب به يارسول الله فأقرها ﷺ، وكانت رائحة عرقه الشريف أطيب من ريح أطيب مسك.

وكان من يصافحه ﷺ تعلق بكفه من ريح رسول الله ﷺ مالا يضيع بغسيل ولا غيره لأيام وليالٍ.

(٢) سورة آل عمران آية : (٥٥).

(١) سورة مريم آية : (١٢).

وروى البيهقي عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت : كان رسول اللہ ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتوَلَّدُ نوراً قالت فبُهِتُ، فنظر إليّ فقال : مالك بُهِتٌ، فقلت: يارسول اللہ نظرتُ إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتوَلَّدُ نوراً، ولو رآك أبو كبير الهدليّ لعلم أنك أحقُّ بشعره. قال : وما يقول يا عائشة أبو كبير الهدليّ؟؟ فقلت يقول :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه .: برقت كبرق العارض المتهلل^(١)

قالت : فوضع رسول اللہ ما كان بيده، وقام إليّ وقبّل ما بين عينيّ وقال : جزاك اللہ خيراً يا عائشة، ما سُرِرْتُ مني كسروري منك، وقد ذكرها أبو حامد الغزالي في الجزء الثالث من كتابه الإحياء.

وقد روى البيهقي حديث كلام الضبّ (وهو حيوان من فصيلة السحالي يعيش في الصحاري) لرسول اللہ ﷺ، وروى

(١) كتاب شرح أشعار الهدليين ٣ / ١٠٧٤

البخارى تفجّر الماء من بين أصابعه الشريفة حين وضعها فى ركة ماء صغيرة يوم الحديدية حتى سقى منها ألفا وخمسائة من الصحابة، كما روى البيهقى والبخارى وأحمد واقعة انشقاق القمر له ﷺ وكان كل شطر منه على جبل فى مكة.

وقد جمعت كتب السيرة كثيرا من هذه المعجزات للنبي ﷺ وكثيرا من الكرامات لأصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وذكر ابن كثير فى موسوعته "البداية والنهاية" الجزء السادس حديث الذئب للرسول ﷺ، وتكثير الطعام فى وقعة الخندق والحديث مع جبل أحد، وحديث الذراع المسمومة له ﷺ، وحديث الطفل المصروع الذى شفاه الله ببركة رسوله ﷺ وخرج من فم الطفل مثل الجرو الأسود.

وأكبر وأعظم معجزاته ﷺ هو القرآن الكريم.. بأنواره وأسراره وحكمته.. فهو كلام الله للذكر والصلاة.. وهو آيات الله للتدبر والتأمل.. وهو كتاب الله الشامل على أنواره وأسراره.. تستجلى من آياته معانٍ ومعانٍ لانهاية لها.. كل على

قدر ما وهبه الله فعندما نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
 وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾^(١)، استبشر الصحابة وعلى رأسهم عمر
 ابن الخطاب بنعمة الله تعالى ورضاه وكان اليوم عندهم عيداً
 لهذه البشرية، أما أبو بكر الصديق رضى الله عنه.. فقد بكى..
 فلما عجب الصحابة من بكائه فى هذا الفرح المبشر به من الله
 تعالى وسأله رسول الله ﷺ ما يبكيك يا أبا بكر!!؟ قال رضى
 الله عنه إن هذه الآية تنعيك فينا يا رسول الله!!!

فانظر إلى إدراك أبي بكر وكيف فهم أن كمال الدين
 يستتبعه انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.. فقد تمت
 الرسالة.. وكلا المعنيين صحيح.. فبشرى الصحابة حق..
 وبكاء أبي بكر حق.. والآية واحدة!! فكتاب الله أسرارها لا
 تنتهى.. ومعانيه لا تغنى..

وإن كان الله تعالى قد علم آدم الأسماء كلها فقد أنزل

(١) سورة المائدة آية : (٣) .

القرآن على محمد وقال له، ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
 عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١) وقال له ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
 ﴾ (٢) .. وهل تُردُّ دعوة رسول الله ﷺ إلى ربه !!؟

والله تعالى قد أحيا الطير والموتى لسيدنا إبراهيم
 وسيدنا عيسى عليهما السلام.. وقد كَلَّمَت الشاة المسمومة
 المطهية رسول الله ﷺ وقال عليه الصلاة والسلام ” إن هذه
 الشاة لتنبئني أنها مسمومة “..

وَفَجَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى الصَّخْرَ فَانْفَجَرَتْ اِثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا
 لِسُقْيَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَتَفَجَّرَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ
 فِي يَوْمِ الْحَدِيدِيَّةِ حَتَّى شَرَبَ الْقَوْمُ كُلَّهُمْ وَقَضَوْا أَرْبَعَهُمْ وَكَانُوا
 أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَبَضْعَ مِائَاتٍ .

(٢) سورة طه آية : (١١٤) .

(١) سورة النساء آية : (١١٣) .

وَأَنَّ اللَّهَ الْحَدِيدَ لَسَيِّدِنَا دَاوُدَ وَسَبَّحَ الْحَصَى فِي كَفِّ

مُحَمَّدٍ ﷺ ..

وَعَلَّمَ سَلِيمَانَ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالنَّمْلِ .. وَعَلَّمَ مُحَمَّدًا لُغَةَ الْجَمَادِ
وَالْوَحُوشِ وَالْحَيَوَانَ .. فَكَلَّمَ جَبَلَ أَحَدَ وَكَلَّمَ النَّاقَةَ .. وَكَلَّمَ
الضَّبَّ .. وَكَلَّمَ الذَّنْبَ .. وَكَلَّمَ الشَّجْرَةَ ..

وَأَخْرَجَ اللَّهُ النَّاقَةَ لِصَالِحٍ وَقَوْمِهِ ... وَانْشَقَّ لَهُ الْقَمَرُ فِي
مَكَّةَ فَكَانَ كُلُّ نَصْفٍ مِنْهُ عَلَى جَبَلٍ .. وَأَخَّرَ اللَّهُ لَهُ مُغِيبَ
الشَّمْسِ صَبِيحَةَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ حَتَّى وَصَلَتِ الْقَافِلَةَ الَّتِي رَأَاهَا ﷺ
فِي الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ فَأَخْبَرَ بِأَنَّهَا سَوْفَ تَصِلُ قَبْلَ الْمَغِيبِ ..

وَعِنْدَمَا كَسَّرَ سَيْفُ عَكَاشَةَ بْنِ مُحَصَّنٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ نَاولَهُ
عَرَجُونَ نَخْلًا (جَرِيدَةً) فَصَارَتْ سَيْفًا بَاتِرًا وَسَمَاهُ "الْعَوْنُ"
وَوَظَلَّ يَحَارِبُ بِهِ طَوَّلَ عَمْرِهِ.

وَشَرِبَ أَهْلُ الصَّفَةِ وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ إِنْاءٍ
وَاحِدٍ مِنَ اللَّبَنِ ثُمَّ شَرِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ..
وَالْإِنْاءُ كَمَا هُوَ ..

وأكل المهاجرون يوم الخندق من مُدَى شعير فى كفه
وهم أكثر من ثلاثمائة.. ﷺ

ورجمت الشياطين التى كانت تسترق السمع فى
السموات بالشهب عند بعثته فلم تعد تقعد منها مقاعد
للسمع...

وأوتى من الجمال ﷺ فوق جمال يوسف.. وكُلل
بالمهابة والجلال فلم يفتن به أحد..

وكان ﷺ يرى من خلفه كما كان يرى من أمامه ويقول
لأصحابه استقيموا فى الصلاة فإنى أراكم من خلفى..

وكان ﷺ يسمع عذاب أهل القبور وينبئ عن حالهم
ويستغفر لهم ويطلب لهم الرحمة..

والآثار كثيرة ومن أراد الاستزادة فى المراجع الكثير
والكثير لمن أراد المعرفة والاستزادة..

يقول ﷺ ” أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأول شافعٍ وأول مشفعٍ “ رواه مسلم، ويقول ” إذا كان يومُ القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولا فخر “ رواه الترمذى وأحمد، وقال ﷺ ” إن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم كلها حتى تدخلها أمتى “ رواه الدارقطنى.

وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال ” لا تُطْرُونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله “،

فالإطراء الممنوع هو ما شابه إطراء النصارى حيث رفعوا المسيح إلى الألوهية فقالوا هو إله وهو ابن الله، وهذا هو الذى يحذرنا منه رسول الله ﷺ، وأما إذا قلنا عبد الله ورسوله اختاره واصطفاه وكرّمه واختصّه بما لم يختص به أحداً من خلقه سواه ﷺ، فنحن لم نتعدّ الحدّ الشرعى المسموح لنا،

فلا تحسبن أننا قد تجاوزنا الحدود في مدح رسول الله
بل إنما لم نذكر إلا أقل القليل.. ولم يتعدّ كلامنا إلا ما قاله
ألا وهو أنه سيد البشر .. وسيد الرسل.. وسيد الخلق
أجمعين..

يروى الدارمى عن جابر قوله صلى الله عليه وسلم ” أنا قائد المرسلين ولا
فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا
فخر“ حديث حسن، ويروى الطبرانى عن ابن عباس قوله
صلى الله عليه وسلم: ” كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد “ حديث صحيح،
ويروى الحاكم فى مسنده عن أبى هريرة قوله صلى الله عليه وسلم ” إنما أنا
رحمةٌ مهداةٌ “ حديث صحيح.

هو صلى الله عليه وسلم من البشر.. ولكنه فوق البشر بما ميزه الله تعالى
وأكرمه به من خصوصيات...

ولا تعجب ولا يضيق أفقك ، وإدراكك بعقلك المحدود
كما يفعل جهال العلماء.. الذين نقلوا العلم ميتا عن ميت

وظنوا أنهم بما نقلوه قد صاروا أعلم العلماء فيقولون لا تسرفوا
في مدح رسول الله حتى لا يفتن الناس به.

فهل علموا هم قدره الحقيقي حتى يعرفوا حد الإسراف
وحد التجاوز غير المحمود في مدحه ﷺ.

ومتى افتتن الناس برسول الله ﷺ منذ ألف سنة ونصف
ألف قبل أن يولد هؤلاء العلماء وأمثالهم !! ما سمعنا على
اتساع الرقعة الإسلامية وانتشار الجهل بين المسلمين وتخلفهم
العقلاني والإيماني هذه الأيام وقبلها.. ما سمعنا بمن رفع
رسول الله ﷺ عن مرتبة البشر.. ولا قال إنه إله ولا رب كما
قال غير المسلمين في أنبيائهم..

الدين محفوظ من الله.. وكتابه محفوظ من عنده..
وشريعته محفوظة بجنوده.. فعلى قدر ما مدح المؤمنون
رسولهم.. وتفننوا في الصلاة عليه.. وكتبوا عنه وعن سيرته..
فلم يعبدوا أحدا.. ولم يؤلهه مسلم..

وهؤلاء الداعون إلى الاقتصاد في مدح رسول الله ﷺ إنما دعاهم إلى ذلك جهلهم برسولهم.. وضيق أفقهم في الإحاطة بقدره ﷺ.. وخوفهم من وهم في أنفسهم هم.. وزعمهم في أنفسهم أنهم يحفظون على الناس إيمانهم.. والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) فالله هو الحافظ لإيمان المسلمين.. وما دنا نقول إن محمدا بشر.. يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.. فأى خوف يتوهمونه.

فرسول الله ﷺ من البشر.. بشرى الخلقة والصورة والجسد ما في ذلك شك. أما إكرام الله تعالى له فلا شك أيضا أنه فوق المدارك والعقول.

ويؤكد الله تعالى هذا المعنى في كتابه الكريم.. ويمهد لانتقال رسوله ﷺ إلى الرفيق الأعلى والله تعالى أعلم بشدة

(١) سورة البقرة آية : (١٤٣).

هذا الأمر على نفوس المؤمنين فيمهد لهم ليثبتهم في هذا
الموقف الجلل فيقول ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ (١)،
ويقول ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٢)،

وعندما يطالب كفار مكة رسول الله بالمعجزات والخوارق
يذكرهم الله تعالى بأنه بشر مثلهم. يوحى إليه.. يقول ﴿ وَقَالُوا
لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ
تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ
تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن
زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنزَلَ

(٢) سورة الزمر آية: (٣٠).

(١) سورة آل عمران آية: (١٤٤).

عَلَيْنَا كِتَابًا نَقَرُوهُ^ق قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا
رَسُولًا ﴿٩٣﴾ (١)،

ويقول ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ
وَاحِدٌ﴾ (٢)

فرسول الله ﷺ بشريُّ أكرمهُ الله تعالى بالنبوة والرسالة.

والحكمة من بشريته ﷺ وبشرية الأنبياء كافة والرسول هي
أن يكونوا قدوة للبشر وأسوة حسنة لهم.. فلو كان الرسول ملكاً
من السماء لاعتذر الناس عن متابعتة والتأسي به بأنه ملك وهم
بشر.. لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ

رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ ﴿٩٤﴾ (٣)، ويقول ﴿قُلْ
لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ (٤)

(٢) سورة فصلت آية: (٦).

(٤) سورة الإسراء آية: (٩٥).

(١) سورة الإسراء آية: (٩٠ - ٩٣).

(٣) سورة الأنعام آية: (٩).

فسنة الله تعالى في الأنبياء والرسل هي أن يكونوا من
البشر ويرسل إليهم وحياً من لدنّه، فالبشرية في رسول الله ﷺ
ضرورة حتى يأتس به الناس ويأتس بهم ويكون لهم مثالا
حيّاً أمامهم وقدوة يحتذى بها قولاً وعملاً وفعلاً..

وأنت لك من بشرية رسول الله ﷺ ظاهرها من
أعمال.. وخلق.. وآداب ولك من البشرية ظاهر العبادات
والطاعات.. فتعلم كيف تصلى وكيف تصوم وكيف تزكى إلى
آخر مظاهر الإسلام الأخرى أدبا وخلقاً..

هذا هو ما تتعلمه من القالب البشرى للرسول.. وهو خير
وبركة لمن تعلم منه واتبعه ولكن هل هذا هو كل حظك من
رسول الله ﷺ !!!

إذا ما أهون ما أخذت.. من أعظم نعمة أنعم الله بها
عليك !!! ولو كان هذا هو المطلوب فقط لما أكد الله وأكد
رسوله على ضرورة حب رسول الله ﷺ حتى يكون أحب

إليك من نفسك التى بين جنبيك.. ولما أمرك الله تعالى
بالصلاة عليه دائماً أبداً.. فأى صلة بين أن تنفذ الأوامر وتتبع
التعليمات حتى ولو كانت مكتوبة فى كتاب ويعلمك إياها أى
شخص أو أى كتاب أو كاتب وبين أن تحب هذا الشخص أو
هذا الكاتب وتنزله منزلة أعلى من نفسك !!!

يروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قوله ﷺ
” لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده
والناس أجمعين“

ويروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر قوله ” ما اختلط
حبي بقلب عبد إلا حرم الله جسده على النار“ حديث
صحيح.

لا بد أن هناك فى الأمر سراً آخر غير ظاهر وغير بشرية
رسول الله ﷺ.

● حظك من نبوة ورسالة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

سبق لنا القول عندما تحدثنا عن عوالم الغيب.. وقوى النفس.. وخلافة البشر في الأرض أن قلنا باختصار أن أحسن تقويم هو الصورة الروحية المكرمة بعلم الله تعالى للنفس البشرية.. وأن النفوس درجات في المعارف والإدراك.. وأن الله تعالى اختار صفوة خلقه وجعلهم أنبياءه ورسله.. وطهرهم وزكاهم وعلمهم.. وأوحى إليهم بخاصية خاصة في أرواحهم تميزوا بها عن سائر البشر... فنفسهم وأرواحهم ليست كنفوسنا وأرواحنا.. بل الله تعالى حفظها وطهرها وزكاهم وعلمها وجعلها خزائن أنواره.. ومعادن أسرارها.. فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين !! ألا تكون نفسه هي النفس الأقدس. وروحه هي الروح الأعلى.. وقلبه هو القلب الأعظم وعقله هو العقل الأتم الأكمل !!!

ولا بد أن يكون ﷺ هو أعرف خلق الله بالله وأشد خلق

اللَّهِ خَشِيَةً لِلَّهِ.. وَأَعْظَمَ خَلَقَ اللَّهُ حَبَا لِلَّهِ.. وَأَعْلَى خَلَقَ اللَّهُ
إِيمَانًا بِاللَّهِ.. وَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ ” إِنِّي لَأَعْرِفُكُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى
وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً “ .. وَيَقُولُ ” إِن لِي سَاعَةٌ لَا يَسْعُنِي فِيهَا إِلَّا
رَبِّي “ وَيَقُولُ عِنْدَمَا رَأَى أَصْحَابَهُ وَقَدْ أَشْتَدَّ هَزَالَهُمْ مِنَ الْجُوعِ
وَالسَّهْرِ وَالْعِبَادَةِ بِمَا لَا تَحْتَمِلُ أَنْفُسُهُمْ إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي فَإِنِّي
أَبَيْتُ يَطْعَمَنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي.. وَيَقُولُ ﷺ ” إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ
تَنَامُ أَعْيُنُنَا وَلَا تَنَامُ قُلُوبُنَا “.

ويقول ابن عابدين عميد الفقه الحنفي في حاشيته أن
نوم الأنبياء غير ناقض لوضوئهم عليهم صلوات الله وسلامه.

فهذه هي الخصوصيات التي تميزت بها الرسل عن
البشر.. وتميز بها محمد ﷺ عن الأنبياء.. فهو أعظمهم إيماناً..
وأكثرهم علماً بالله.. وأعلاهم يقيناً.. فإن كان الله تعالى قد
أحسن خلقه وخلقه.. وأدبه فأحسن أدبه.. فإن الله تعالى قد
جعل قلبه وروحه كنز الأسرار الإلهية.. ومركز التجليات
النورانية .. ليلاً ونهاراً، يوحى إليه وهو نائم ويوحى إليه

وهو يقظان.. لا فرق بين نوم ويقظة ولا بين حال وحال،
دائم الترقى مع الله.. ودائم الاستزادة من أنواره فالله تعالى
لا تنتهى أسراره ولا تنفذ خزائن علمه.. ورسول الله ﷺ يستمد
من هذه الأنوار والأسرار.

وإذا كان إيمان أبى بكر يرجح ويزيد عن إيمان الأمة
الإسلامية كما ذكر البيهقى عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ
فكيف بإيمان رسول الله ﷺ، وبماذا يوزن! فافهم...

وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام أمة قانتا لله... ﴿إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)،

فكيف يكون إمامه محمد ﷺ !!!

فعظمة رسول الله ﷺ.. وفضله على سائر الأنبياء والبشر
أجمعين ليس فى خلقه وتعاليمه وطاعته لله فقط بل الأعظم

(١) سورة النحل آية: (١٢٠).

من ذلك والأهم هو عظمة روحه.. وأنوار قلبه... و قدسية
نفسه...

فإن كان لك من تعاليم رسول الله ﷺ نصيب
بإسلامك.. فتصلى كما كان يصلى.. وتصوم كما كان يصوم..
وتتمثل بمظاهر الإسلام كما علمها لك رسول الله ﷺ.. فأين
أنت من إيمانه.. و يقينه.. ونور قلبه.. و قدسية روحه، وإذا كان
لك نصيب من ظاهر النبوة فى رسول الله.. فأين نصيبك
من باطن النبوة وأسرارها.

لعلك أدركت الآن أن كل ما أنت فيه من مظاهر الإسلام
من طاعات وعبادات بدنية ظاهرة عليك هو من إسلام رسول
الله ﷺ وتعليماته وأوامره.. وكذلك كل ما يسرى فيك من نور
الإيمان.. وكل ما فيك من يقين باطنى.. إنما هو يسرى فيك
من إيمان رسول الله ﷺ ويقينه بالله وأنواره وأسراره.. فإسلامك
مستمد من إسلامه.. وإيمانك مستمد من إيمانه.. وبهذا يكون
لك حظ من بشرية رسول الله.. ويكون لك حظ من نبوة

رسول الله.. وظاهره في من إسلامه.. وباطنك فيه من
إيمانه.. تأخذ من هذا على قدرك.. وتأخذ من هذا على
قدرك..

وحذار أن تفهم من قولنا هذا أن رسول الله ﷺ هو الذي
يهدى الناس وهو الذي يجعلهم يؤمنون. فإن الهدى هدى
الله. والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(١). فالهدى من الله والإيمان من الله..
وهو الذي يهدى عباده ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في
قلوبهم ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وهو جل شأنه
الذي يلزمهم كلمة التقوى، فنحن نوكد لك قولنا مرة أخرى
بأن الهادي هو الله تعالى لا شريك له، ولكن ما يسرى في
قلبك من إيمان وحب لله إنما هو من سر نبوة ونور إيمان
محمد ﷺ.. فافهم الفرق بين المعنيين فإنه دقيق إلا على من
استبصر بنور الله تعالى.

(١) سورة القصص آية: (٥٦).

يروى الطبرانى عن معاوية رضى الله عنه قوله ﷺ ” إنما أنا مُبَلِّغٌ وَاللَّهِ يَهْدِي وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهِ يَعْطِي “ حديث حسن . فالعاطى هو الله والهادى هو الله جل شأنه، ورسول الله ﷺ هو المبلِّغُ والقاسم .

فلا ينبرى لنا جاهل مستعلم فيزعم أننا قد جعلنا لله نداً والعياذ بالله . ولكي نقرب الأمر إلى ذهنك .. فإن قلنا لك أن أباك قد أورثك مالا حتى أغناك فصرت غنيا بميراث ماله .. فهذا لا يتعارض مع أن الله تعالى هو الغنى المعنى وأن المال كله مال الله جعله لأبيك ثم جعله لك من بعده .. فالله هو الذى أغناك بلا شك والمال هو مال الله بلا شك .. وأنت قد صرت غنيا بما ورثك أبوك من ماله بلا شك .. يقول تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .. فالرسول إذن يغنى بفضل الله تعالى كما نصت الآية (١).

لذلك يقول ﷺ ” العلماء ورثة الأنبياء .. وإن الأنبياء لم

(١) سورة التوبة آية : (٧٤) .

يورثوا درهما ولا ديناراً“... فميراث الأنبياء هو العلم وأى علم. هو العلم بالله وليس علم الدنيا والصناعات... فالعلم بالله هو كنز الأنبياء.. وورثتهم من المؤمنين.. وهل العلم بالله إلا الإيمان بالله وخشيته ومحبته وطاعته !!! فافهم مقصودنا رحمك الله ..

ومن هنا تعلم حكمة إرسال الله الرسل إلى أقوامهم فقط.. لمن سمع منهم وراهم.. وذلك على قدر قوة أرواحهم وطاقاتها.. أما خاتم الأنبياء والمرسلين.. فلكل البشر ولكل زمان.. ولكل مكان.. على قدر عظمة روحه وقوة إيمانه فافهم..

يقول تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١). فرسول الله تعالى يؤمن للمؤمنين وهو

(١) سورة التوبة آية : (٦١) .

أذُنُ خَيْرٍ لَهُمْ .. وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا .. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

فالرسول ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم .. حريص على ما ينفع
المسلمين في الدنيا والآخرة.. وهل هناك حرص ومنفعة أهم
وأعظم أثرا من منفعة الإيمان والفوز بالجنة والنجاة من النار..
ويقول ﷺ لأصحابه ” من مات وترك مالا فهو لورثته ومن ترك
دينا فأنا كفيله.. “ وكان ﷺ إذا أحضرت جنازة يسأل أصحابها
هل عليه دين.. فإن كان عليه دين سدد عنه دينه ﷺ.. وكان
يضحي في يوم النحر عن أمته..

ويؤكد الله تعالى هذه الكفالة والضمان للمسلمين فيقول
جل شأنه ﴿ أَلَنْبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ رُءُوفٌ
أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (٢) .. فرسول الله ﷺ أحنُّ وأرحم بالمؤمنين من
أنفسهم وذلك من فرط حبه ﷺ للمؤمنين.. ويؤكد الله تعالى
لك هذا المعنى بأنه حتى زوجات رسول الله ﷺ قد انتقل
إليهم جزء من هذا الحب الذي في قلب رسول الله

(٢) سورة الاحزاب آية : (٦) .

(١) سورة التوبة آية : (١٢٨) .

للمؤمنين فصرن في حبهن ورحمتهن بالمؤمنين كأمهاتهم..
بل هن أمهاتهم رحمة ورقة وعطفا..

ويتجاوز هذا السر حدوده المعنوية فيحرم الله تعالى على
المؤمنين نكاح زوجات رسول الله من بعده.. لأن الأمومة قد
تأصلت فيهن وفي قلوبهن وهل يتزوج الرجل أمه!!!.

ثم يقول الله تعالى لرسوله ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ^(١).. فالرسول ﷺ
يستغفر الله للمؤمنين حُبًّا فيهم ورحمة بهم.. حيا وميتا..
فإنه ﷺ يقول ” إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة.. فأكثرُوا من
الصلاة علىَّ فإنَّ صلاتكم معروضة علىَّ “. فيتساءل الصحابة :
كيف تعرض عليك وقد أرميت.. (أى أن الأرض تأكل جسد
الميت) فقال ﷺ ” إنَّ الله عزَّ وجل حرم على الأرض أن
تأكل أجساد الأنبياء “ رواه ابن ماجة وأبو داود.. ويقول ﷺ

(١) سورة محمد آية : (١٩) .

” ما من أحد يسلم علىَّ إلا ردَّ الله علىَّ روحى حتى أُرَدَّ عليه السلام.. “رواه أحمد وأبو داود، وكم من عبد يصلى على سيدنا رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً.. سحرًا ومساءً وصباحًا وظهراً.. فى صلاة وفى غير صلاة..

يروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قوله ﷺ ” أنا أوَّلَى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك ديننا فعلىَّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته “ حديث صحيح، ويروى ابن سعد عن بكر بن عبد الله قوله ﷺ ” حياتى خير لكم تُحدِّثون ويحدثُ لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت لكم “ حديث حسن.

وقد رأى رسول الله ﷺ بعض الأنبياء السابقين يصلون فى قبورهم، فلا تعجب من هذا القول فليس كل حياة هى مثل الحياة الدنيا بأكلها وشربها ومائها وهوائها.. ويقول ﷺ ” مَنْ رَأَى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو كأنما رَأَى فى

اليقظة لا يتمثل الشيطان بي “ متفق عليه.. وكم من مسلم يرى رسول الله ﷺ في نفس الليلة وفي نفس الوقت. تلك من أسرار الروح فلا تعجب.. فإن الرسول ليلة أُسْرِىَ به رأى الأنبياء في قبورهم يصلون.. ثم أمَّهُم في الصلاة في المسجد الأقصى.. ثم استقبلوه في السموات كل في مقام.. وهم بالطبع لم يصلوا معه ثم يسبقوه إلى السموات ليتخذ كل منهم مقامه.. فالأرواح غير الأجساد.. فالأجساد لا تُرى إلا في مكان واحد يحدها الزمان والمكان.. أما الأرواح فليس لها زمان أو مكان.. ولا نستطيع الخوض في هذا الأمر أكثر من هذا..

يروى أبو يعلى في مسنده عن أنس ” الأنبياء أحياء في قبورهم يُصلُّون “ حديث حسن، ويروى الإمام أحمد في مسنده وكذلك مسلم عن أنس قول ﷺ ” مرت ليلة أُسْرِىَ بي على موسى قائما يصل في قبره “ حديث صحيح.

فنحن على الإجمال لم نتعسف في شرح آية أو في

الاستدلال بحديث.. ولكننا استنبطنا منها مفهومات منطقية كل منها يؤكد الآخر.. فإن حُجرت سعة عقلك وحُجست نفسك وروحك بمقاييس الحياة الدنيا الأرضية وقوانينها المادية فلن تفهم من الأمور شيئاً ، ولكننا نتحدث عن الأرواح وعوالم الملكوت وأسرار النفس فلا تخاطبني بميزان أرضك وماديتك وقوانين الجاذبية الأرضية والحواس الخمس...

فرسول الله ﷺ روحه تسرى في روحك بالإيمان.. وظاهره يسرى فيك بالإسلام.. وتعرض عليه أعمالك.. ويرد عليك السلام والصلاة.. ويستغفر لك بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.. فهل أدركت درجة رسول الله.. وقوة إيمانه.. وأنوار روحه.. وأسرار تجليات الله عليه.

ومن هنا كان يُحِبُّ رسول الله ﷺ في قلبك.. وكثرة صلاتك عليه سر كبير ينفعك بإذن الله رغم أنف من اعترض جهلاً وقصوراً منه في إدراكه..

● حب رسول الله ﷺ والصلاة عليه :

سبق القول بأن الحب هو التقاء أرواح بكيفية ما وبدرجات متفاوتة.. وهذا الالتقاء بين الأرواح يحدث تفاعلاً فيما بينها.. فصفات الروح من صدق وإخلاص وطاعة أو أضدادها من الصفات السيئة تؤثر في النفس التي تعاشرها أو تلتقي بها ولو بدون تعامل فيما بينهما.. فمجرد التقاء الأنفس يحدث هذا التفاعل، ولذلك يؤكد ﷺ على ضرورة اختيار الجليس الصالح.. والخليل الصالح والمجتمع الصالح ويحذر من خلافهم فهم مثل بائع المسك ونافخ الكير فإنك تجد عندهما ريحاً طيبة أو ريحاً خبيثة بمجرد مرورك عليهما.. دون معاملة معهم من بيع أو شراء.. فقوة الأنفس هي التي تؤثر في بعضها.. ومن هنا كانت حكمة التقاء المسلمين في الصلوات الخمس.. والجمعة والعيدين والحج فإن تلاقى أرواحهم وتقارب أجسادهم يحدث تفاعلاً في الأنفس دون أن يشعروا..

وقد أُجريت دراسات اجتماعية على سلوك المجتمعات

المغلقة مثل الذين يعيشون فى السجون أو بيوت الطلبة أو الملاجئ.. فظهر أن سلوك أفراد هذه المجتمعات تتوحد تقريبا على سلوك واحد.. وهو إما أحسن الموجودين خُلُقًا.. وإما أسوأهم خُلُقًا..، وذلك تبعاً لقوة الشخصية كما يسمونها عندهم.. أما نحن فنقول أن الروح القوية قد جذبت إليها الأرواح الأضعف.. إما بالشر.. وإما بالخير.. وأثرت فيهم وطبعت صفاتها فيهم.. وهذا يحدث بمجرد تقارب الأجساد.. فما بالك بتقارب الأرواح.. وهى المؤثرة فى الأجساد كما ذكرنا سابقاً.

ولذلك يقول ﷺ فيما يرويه مسلم والبخارى عن أبى هريرة وعن عائشة رضى الله عنهما ” الأرواحُ جُنُودٌ مجنَّدةٌ.. فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.. “ فالحب فى الحقيقة هو الميل المجرى عن السبب المادى.. فلا تجد له سبباً ولا علة.. لأن أساسه التقاء الأرواح.. والأرواح خارجة عن إرادتك ومفهومك فأنت تحس بأثرها ولا تعرف له سبباً.. فالحب كما قلنا هو الميل المجرى عن السبب المادى..

وانظر إلى دعوة رسول الله ﷺ إلى الحب في الله
والأخوة في الله وكيف أن المتحابين في الله على منابر من
نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء على هذه الدرجة الرفيعة..
وكيف أن الرجلين إذا تحابا في الله واجتمعا عليه وافترقا عليه
يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تحت ظِلِّهِ يوم لا ظل إلا ظِلُّهُ.. ودعاء المؤمن
لأخيه بظهر الغيب مستجاب.. ويقف وراءه ملك يقول له ولك
مثل ذلك أى ولك مثل ما دعوت لأخيك..

فإذا كان هذا جزاء من يحب أخاه المسلم في الله..
ولله.. فكيف بمن يحب رسول الله ﷺ.. وكيف بمن تتعلق
روحه بروح رسول الله ﷺ.

قل لى أنت ماذا يستفيد من أحب رسول الله من حب
الرسول له.. ومن روح رسول الله المتعلقة بروحه بها حبا
ومودة..

وإذا كانت الأرواح جنوداً مجندة.. وتعارفت روحك

على مهبط الأسرار وكنز الأنوار .. روح محمد ﷺ .. فما
الفائدة من ذلك.. هل يحتاج الأمر إلى إيضاح !!

وإذا كان حبك لأخيك المؤمن العادي ينفعك في الدنيا
والآخرة.. فتستجاب دعوته لك في الدنيا.. وتكون معه تحت
ظل الله في الآخرة.. وعلى منابر من نور. فكيف بمن يحب
رسول الله ﷺ. وماذا يستفيد منه في الدنيا والآخرة.

ولذلك يؤكد ﷺ على هذا الحب ويقول ” والذى نفسى
بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده
والناس أجمعين “ متفق عليه، ويقول ” أحبوا الله لما يغذوكم
به من نعم، وأحبوني لحبكم الله “ فالرسول صلوات الله
وسلامه عليه يؤكد على المؤمنين ضرورة حبهم له.. وإنما كان
ذلك لفرط حرص رسول الله ﷺ ومحبته لك ورحمته بك
لكى تنهل روحك من روحه العلية.. ويستفيد قلبك من نور
إيمانه ﷺ.. وما هو بالمستفيد من حبك له.. بل أنت المستفيد
بإذن الله من روحه القوية.. وقلبه مهبط الوحي.. فينقل إليك

ألوانا من الإيمان.. وأنواعا من اليقين.. والأنوار.. من قلب
رسول الله إلى قلبك.. ومن روح رسول الله إلى روحك لا
قراءة من كتاب.. ولا تعليما من معلم.. بل تعليم من الله تعالى
ورسوله.

وإذا كان رسول الله ﷺ يُشبهه المؤمنون كلهم في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم بأنهم كالجسد الواحد.. إذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.. فأين تظن
قلب هذا الجسد الواحد إذا كان المؤمنون كلهم كالجسد
الواحد.. فمن يكون قلبهم.. ما منحهم حياة الإيمان.. ونور
اليقين.. سوى إمام المؤمنين وسيد الأنبياء.. ومعدن أسرار الله
تعالى. فافهم رحمك الله..

فأنت إذا لم تعرف كيف تحب رسول الله ﷺ فأنت لم
تستفد من روحانيته ولا من نور نبوته.. ولا تكون استفادتك من
نوره إلا على قدر حبك له.. وكذلك يكون حبك له هو على
قدر إيمانك به.. وتكون أفعالك واتباعك لنهجه وسنته هي

على قدر إيمانك به وحبك له.. فهي دائرة دائمة الترقى..
بالحب تزيد الطاعة.. وبالطاعة يزيد الحب.. وهكذا..

ولقد كان سيدنا عبد الله بن عمر يسير في طرقات
المدينة ويقول ”دلوني على أثر مسير رسول الله ﷺ فعسى أن
توافق قدمي أثر قدمه ﷺ“ فانظر رحمك الله إلى فرط هذا
الحب الذي نقل أصحابه من أتباع رسول الله ﷺ.. في
العبادات.. إلى أتباعه في العادات والأمور الدنيوية.. فإن
سيدنا عبد الله بن عمر لم يقل إن ثواب من وافقت قدمه أثر
مسير رسول الله كذا وكذا.. ولم يسأل الناس عن أثر مسير
رسول الله ﷺ ليؤجر على ما يفعله.. فليس الأمر أمر ثواب
وعقاب ولكن المحبون لهم فنون.. ولهم أسرار لا تهتك
دونهم.. فهو فرط الحب وكفى..

فحب رسول الله ﷺ في حد ذاته نعمة كبرى من الله
عليك فالفضل كله لله تعالى.. وهو مفتاح كل خير.. وباب كل
توبة.. وأساس كل طاعة.

وإن قال الناس إن الحب هو الاتباع لرسول الله ﷺ..
قلنا لهم صدقتم ولكن بشرط أن تكون المتابعة ظاهرة باطنة
بمعنى اتباع أفعاله وأحواله الباطنية ﷺ.. وما أصعبها إلا من
يسرها الله له فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(١).. فمن أحب أتبع
نهج من يحب.. صدق الله تعالى.. ولكن كم من حب في القلب لا
يعمل ولا تعرف له سببا.. وتضعف عنه قوة جسدك وطاقة روحك.

روى البخارى أن سيدنا النعيمان بن عمرو عليه رضوان
الله في بداية إسلامه.. وكان يحب الله ورسوله حبا كثيرا..
ولكنه كان لا يخلو من أمور تستدعي إقامة الحد عليه.. فلما
تكرر منه ذلك لعنه بعض الصحابة في مجلس رسول الله ﷺ
وكرهوا منه مقارفته لما يستلزم إقامة الحد عليه.. وقالوا لعنه
الله ما أكثر ما يؤتى به، فغضب عليه الصلاة والسلام وقال لهم
” لا تلعنوه.. فإنه يحب الله ورسوله“. أو قال ” لا تلعنوه

(١) سورة آل عمران آية : (٣١) .

فوالله ما علمته إلا أنه يُحِبُّ اللهَ ورسوله.“

فحب الله ورسوله كان شفاعة له عند رسول الله في أن لا يسبه أحد.. ولكن لم تكن هذه شفاعة في حد من حدود الله.. فحدود الله ليس فيها شفاعة.. فهذا رجل يحب الله ورسوله.. ولكن ما زال في نفسه بعض الكدورات..

وقد سأل أعرابي رسول الله ﷺ.. متى الساعة.. فقال له رسول الله ﷺ. وماذا أعددت لها.. فقال الأعرابي.. ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام ولكني أعددت لها حُبَّ الله ورسوله.. فيرد عليه ﷺ ويبشره بالبشرى العظمى: ” المرء مع من أحب “ وفي رواية أخرى أن أعرابيا كان يسير خلف ركب رسول الله ﷺ وينادى يا محمد يا محمد ولم يسمعه أحد حتى لحق بهم فقال لرسول الله ﷺ ” المرء يحب القوم ولما يلحق بهم.. “ (أى إن المرء يحب القوم ولكن قوته وإمكاناته لا تمكنه من اللحاق بهم..) فقال له رسول الله ﷺ.. ” المرء

مع من أحب“ وفي الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود:
”جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف تقول
في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟؟ فقال عليه الصلاة
والسلام ”المرء مع من أحب“ يقول الصحابة: ما فرحنا
ببشرى من رسول الله ﷺ كما فرحنا بتلك البشرى“.

فكلهم يحب رسول الله.. وكلُّهم لا يستطيعون اللحاق به
في عبادته وطاعته فما العمل إذا حرّموا منه يوم القيامة بقلة
أعمالهم!!! فيطمئنهم رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق..
بأن المرء مع من أحب يوم القيامة.. ولو قلت قوته وضعفت
همته.. فضلا من الله وكرما.. فما نقص من قوة الجسد في
الطاعة جبرتها قوة الروح في المحبة.. يقول ﷺ ” نية المرء
خير من عمله “ كما رواه الطبراني أي أن المرء قد يتمنى أن
يؤدى نسكاً أو طاعة وينوى حسن أدائها والإخلاص فيها ..
فإذا فعلها فربما اعتوّرها شيءٌ من الغفلة أو كدورات النفس
البشرية فتأتي ناقصة عن كمال نيته.. كمن ينوى الصلاة
ويرجو ألا يسهو فيها.. وألا تحدثه نفسه فيها بشيء فإذا بدأها

غلبه الشيطان فكانت على غير ما عزم عليها من الكمال
والتمام.

فالذين يقيسون حب الله ورسوله باتباع الأوامر
والطاعات واجتناب المحرمات قد صدقوا.. ولكنهم حَجَرُوا
فضل الله تعالى على عباده وضيّقوا رحمته التي وسعت كل
شيء.٤

فالمؤمن قد يمتلئ قلبه بحب الله ورسوله.. ويتمنى في
كل لحظة أن يكون متابعا للأوامر والنواهي كاملة خالصة..
ولكنه لأمر ما تتور عبادته كدورات ونقصان..

ولكنه ما زال يحب الله ورسوله وقلبه مشغول بهما ومتجه
إليهما..

إن حب الله ورسوله إذا تمكن من قلب العبد
المؤمن.. سرى في دمه وعروقه وتأثر به بلا شك.. فإن كان

الشیطان یجرى فى ابن آدم مجرى الدم فى العروق كما
یقول ﷺ... فإن الإیمان بالله ورسوله فى هذه الحالة یرى
هو أيضا بالإیمان والنور فى عروق ابن آدم.. والغلبة لما یرید
الله تعالى.. فإن كان ظلام إبليس یرى بالجهل فى العروق..
فنور الإیمان یرى بالعلم فى العروق أيضاً..

وانى أدعوك إلى حسن الإدراك لرحمة الله تعالى حيث
یجازى الذین آمنوا بأحسن ما كانوا یعملون.. وليس بما
كانوا یعملون.. فذلك فضل الله تعالى على العباد.. والنية
هى أيضا من عمل العبد.. فالنية ثمرة الإیمان.. وتنبه إلى
الفرق بین النية والتمنى.. فالتمنى لا یستند إلى نية ولا
عزم.. لذلك یقول ﷺ ” أن قوما غرتهم الأمانى وقالوا نحن
نحسن الظن بالله.. وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم..
وكذبوا.. فلوا أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.. “ وصدق رسول
الله ﷺ.. فهؤلاء قوم تمنوا الأمانى ولم یجاهدوا أنفسهم ولم
یعزموا على طاعة.. ولم یتهیاوا لها.. ولكنهم تكاسلوا واكتفوا
بحدیث النفس.. أما ما نتكلم عنه فهو حب فى القلب ونية

على اللحاق بالحبيب المحبوب.. ولكنه بعمل غير متكامل
لوجود كدورات النفس البشرية فيهم.. فهم في جهاد بين
حبهم.. ونيتهم في العمل الصالح.. وضعف قوتهم وهمتهم..
فالأمر جد مختلف فافهم فإن الأمر دقيق..، ولاحظ أن الآية
السابقة قد جعلت الاتباع نتيجة للحب، فإن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله، ولكن نحن نتساءل كيف نتمنى في
قلوبنا حب رسول الله ﷺ حتى يصدق اتباعنا له..؟؟

ولذلك.. ولكي يزيد حبك لرسول الله ﷺ شرع الله لك
الصلاة عليه.. والسلام عليه.. لتكون هناك محادثة بينك وبين
روحه.. فأنت تسلم عليه.. وهو يرد عليك السلام.. والملائكة
تصلي عليه وعليك..

فمردود الصلاة على رسول الله ﷺ هو الائتناس بروحه
ﷺ.. واستجلاب أنواره وقدس نفسه إليك.. فلا تزال تصلي
عليه.. وهو يرد عليك والملائكة تصلي عليك حتى تتهياً
روحك ونفسك لأن تنهل من روحه وقدس.. لذلك وجب أن

تكون الصلاة على رسول الله ﷺ بالسكينة و الوَقَارَ وَ استحضر روحه ﷺ في مجلسك كأنك تخاطبه.. وأنت فعلا تخاطبه وليس مجازا...ولذلك تَفَنُّ الصالحون في صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ.. كل منهم على قدر ما ينهل من روحه وما يشرب من أنواره..يقول ﷺ ” أن من صلى عليه مرة صلى الله عليه عَشْرًا “ كما رواه مسلم ويقول ﷺ ” إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة “ كما رواه الترمذى وابن حَبَّان ويقول ” أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة “.. كما رواه البيهقى وابن ماجه وقال ” من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى فليقلل عند ذلك أو ليكثر “ كما رواه أحمد وقال ” إن في الأرض ملائكة سيّاحين يبلغونى عن أمّتى السلام “ كما رواه النسائى ويقول ﷺ ” من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب “ كما رواه الطبرانى.

وقد قالوا إن الصلاة على رسول الله ﷺ مقبولة عند الله لا محالة إكراماً لرسول الله ﷺ وقد تعرض ابن عابدين لهذه

النقطة وغيره، وقالوا إن من أدب الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه ثم يثنى بالصلاة على رسول الله.. ثم يدعو بما شاء.. ثم يختم بالصلاة على رسول الله.. فإن الله تعالى يقبل الصلاة على رسوله.. وهو جل شأنه أكرم من أن يرد ما بين مقبولتين.

وعلى العموم فأسرار الصلاة على رسول الله كثيرة.. ولا تدرك بالكلام والبيان ولكن مما لا شك فيه أن كثرة صلاتك على رسول الله ﷺ تزيد من حبك له.. ومن حبه لك.. وهذا الحب تستتبعه قوة إيمانك.. ونور رسوله ﷺ..

ويكيفك الامتثال لأمره تعالى في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

(١) سورة الأحزاب آية: (٥٦).

اللَّهُمَّ فصل وسلم وبارك على عبدك وحبيبك محمد وعلى
آله وصحبه أفضل صلاة وأتم سلام وأكمل بركات كلما ذكرك
وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون في
كل لمحة ونفس من الأزل إلى الأبد بعدد كل مخلوق لك يا
مولانا يا عظيم..

ويعلمنا رسول الله ﷺ كيفية الصلاة عليه ويوصينا بأهله
وأهل بيته فيقول ” قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد
مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد “ ويوصينا رسول
الله ﷺ بآل بيته فيقول ” أذكركم الله في أهل بيتي..
أذكركم الله في أهل بيتي “ وأهل بيته هم آل علي.. وآل
عقيل وآل جعفر وآل عباس.. وكل هؤلاء محرم عليهم أخذ
الزكاة فإنها لا تحل لهم..

وتأمل قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٣﴾ ﴿١﴾، ويقول ﴿قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ﴿٢﴾.

فآل بيت رسول الله ﷺ لهم الإكرام والتبجيل والمحبة
من المؤمنين الصادقين وحبهم من حب رسول الله ﷺ يقول
ﷺ "عن السيدة فاطمة رضی الله عنها إنها سيدة نساء أهل
الجنة"، روى الحاكم قوله ﷺ "إذا كان يوم القيامة، نادى
مناد من وراء الحُجُب: يا أهل الجمع غُضُّوا أبصاركم عن
فاطمة بنت محمد حتى تَمُرَّ" ويقول عن السبطين الحسن
والحسين "اللهم أحبهما فإني أحبهما" ويقول لسيدنا جعفر
بن أبي طالب "أشبهت خلقتي وخلقى"

وكذلك سبق الكلام عن وجوب محبة صحابة رسول الله
ﷺ ونكتفى بحديثه ﷺ "اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي: لَا تَتَّخِذُوهُمْ
غُرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحْبَبَهُمْ فَبِحَبِي أَحْبَبَهُمْ.. وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ

(٢) سورة الشورى آية: (٢٣).

(١) سورة الأحزاب آية: (٣٣).

فببغضى أبغضهم .. ومن آذاهم فقد آذانى .. ومن آذانى
فقد آذى الله .. ومن آذى الله يوشك أن يأخذه“.

وخالصة القول أن حب رسول الله ﷺ يستدعى حب
أهل بيته الكرام المباركين وأصحابه الغر الميامين رضى الله
عنهم أجمعين.

وبالله عليك كيف أنت بقوم يصلى عليهم جميع
المسلمين فى كل صلواتهم فى كل زمان ومكان فأى شرف
لهم !!!

● حول نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وصلنا إلى أن روح سيدنا رسول الله ﷺ هي الروح العظمى .. ونفس سيد البشر هي النفس الأسمى .. وهي محل تجليات الله تعالى في كل وقت وحين .. وقوله ﷺ ” إن لي ساعة لا يسعني فيها إلا ربي “ يدل - لمن كان له قلب - على أنها ساعة تجليات إلهية مباشرة يعجز الملائكة عن إدراكها.. فهي خاصة لمحمد ﷺ .. تماما كما تخلف جبريل في المعراج وقال لرسول الله تقدم فما منا إلا له مقام معلوم.. ولو تقدمت أنا لاحترقت.. فهذا مقام جبريل .. وهذا مقام محمد.

ولأضرب لك مثلا على سبحات أرواح الأنبياء في منامهم وكيف يكون الوحي إليهم في تلك الحالة على الصورة التي تسبح فيها أرواحهم ..

قلنا من قبل إن رؤيا الأنبياء حق.. وهى وحى يوحى..

ولقد رأى سيدنا إبراهيم أنه يذبح ابنه إسماعيل.. ولكن ما حدث فى نهاية الأمر أن الله تعالى أمره بذبح كبش فداء له.. فالمذبوح هو الكبش فى الحقيقة فكيف رأى سيدنا إبراهيم أن المذبوح هو ابنه !!! نعم هو بلاء.. وامتحان من الله.. ولكن هذا لا يمنعنا من التساؤل بأن ما رآه سيدنا إبراهيم ليس هو ما حدث فعلا..

ونفس الأمر بالنسبة لسيدنا يوسف فقد رأى الشمس والقمر والنجوم تسجد له.. ولكن السجود كان فى نهاية الأمر من أبويه وإخوته فلماذا جاءت الرؤيا بهذا الرمز !!!

يقولون والله أعلم إن الروح إذا سبحت فى عالم من العوالم الكونية وجاء أمر الله تعالى إلى الروح بوحي ما فى تلك اللحظة فإنه يأتى بتأويل له من نفس ظواهر هذا العالم الذى تسبح فيه الروح..

فسيدينا إبراهيم سبحت روحه في عالم الرحمة والرحيم
والرحمن متأملاً فضل الله عليه وإكرامه له على الكبر بسيدينا
إسماعيل عليه السلام.. فلماً جاء أمر الله إليه في تلك اللحظة
بالفداء.. جاءت الرؤيا من نفس العالم.. وكان الفداء، بالابن
وكان الأمر بذبح الابن..

ولما سبحت روح سيدينا يوسف في عالم الأفلاك وأراد الله
أن يبشره بسجود إخوته ووالديه له.. جاءت الرؤيا بسجود بعض
هذه العوالم التي تراها روحه.. فرأى سجود الكواكب له..

فاحتياج الرؤيتين إلى التأويل سببه سبحات الروح في
عوالم الله المختلفة.

وقيام رسول الله ﷺ الليل كله كما ورد يردد الآية
الكريمة ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ^ط وَإِنْ تَغَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) يلقى بعض الضوء على هذا الأمر..

(١) سورة المائدة آية: (١١٨) .

فسبحات روح رسول الله ﷺ وتجليات الله تعالى عليه المتجددة على الدوام كانت تجعل لكل تلاوة لهذه الآية معنى جديدا.. وكلما كررها رسول الله كلما استجلى الجديد من أسرار أنوار الله تعالى.. وإلا فلا معنى للتكرار إذا كان بنفس المعنى..

وأنت تجد آيات الله تعالى في القرآن الكريم عدة معانٍ يذكرها المفسرون بل حتى ترتيب الآيات في القرآن.. وهو ترتيب توقيفي من رسول الله ﷺ هذا الترتيب قد يضاف على بعض الآيات معانى جديدة بإضافتها إلى بعضها...

وقد أجمع الفقهاء على أن المطلوب هو قراءة القرآن بتدبر وتفكر، وهذا لا ينافي قول الرسول ﷺ "من فسّر القرآن برأيه ضلّ"، ذلك لأن التدبر له أصول وقواعد لا بد منها للتالى، ويقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(١) والذى آثر الدنيا على الآخرة وانشغل بها وغفل عن آخرته

(١) سورتي الرعد آية : (١٩) والزمر آية (٩) .

ليس من ذوى الأبواب قطعاً، فأئى له التدبر والتذكر !!!،

ويذكر البخارى عن على كرم الله وجهه عندما سُئل هل خصه رسول الله ﷺ بشىء فقال: ” ما أسرّ إلى رسول الله ﷺ شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً فى كتابه “، فلا حرج على فضل الله أن يهب لعبده فهماً فى كتاب الله غير ما ذكره المفسرون فى كتاباتهم فافهم.

فقد يسبق إلى قلبك معنى جديد لم يسبق لك معرفته من قبل.. فإذا كان مطابقاً لشرع الله وأحكامه فهو خاطر حق. وإن كان غير مطابق فلا يعتد به ولا يلتفت إليه .. يقول تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾^(١).. فالتدبر فى آيات الله واستجلاء معانيها مطلوب ومحمود..

غير أن فضل تلاوة القرآن ولو بغير فهم لها أجر عظيم..

(١) سورة محمد آية : (٢٤) .

فما السبب يا ترى !!! ما الحكمة في فضل تلاوة القرآن الكريم
ولو بغير فهم !!! نعم إِنَّهُ كتاب الله تعالى.. وفضله على كلام
البشر كفضل الله على البشر وهو كتاب ذكر وقربى إلى الله
تعالى وليس كتاب استدلال فقط.. إِذَا فلا بد أن يكون هناك
سر في تلاوته بغير فهم.. ولا بد أن يكون هناك نور في تلاوته..
وكما قال ﷺ إن بكل حرف حسنة.. ألم ثلاثة أحرف ألف
حرف ولام حرف وميم حرف والحروف ليس لها معان.. فلماذا
يكون لك ثواب في تلاوة حروف لا تفهم معناها !!!

لا بد أنك أدركت من هذا العرض أن هناك أسراراً
وأنواراً وتجليات خاصة للروح تنالها بمجرد تلاوتها.. وهذه
الأسرار قد يستجليها بعض أصحاب البصائر إذا أراد الله لهم
هذا.. وسبحان الفتح العليم.. فالله تعالى لا يأمرك إلا بشيء
فيه منفعتك سواء علمتها أم لم تعلمها

لذلك يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ

وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾، القرآن العظيم في كل شيء.. في حروفه.. وألفاظه.. ومعانيه.. وأسراره.. وأنواره ويقول تعالى ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴿٢﴾﴾، ويقول ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴿٣﴾﴾، ويقول ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾. فهو شفاء بمعناه العام.. وشفاء خاص لظلام النفس وجهلها الذي سبق الكلام عنه في الأبواب السابقة..

فإن قلنا لك إن وحى الله تعالى يأتي للأنبياء على حسب سبحات أرواحهم القدسية في عوالم الله المختلفة فافهم إذاً معنى قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿٥﴾﴾. فهذا معنى دقيق.. ومذاق عالٍ نُمسك عن الخوض فيه ولكنه يشير على أية حالة

(٢) سورة الإسراء آية: (٨٢) .

(٤) سورة يونس آية: (٥٧) .

(١) سورة الحجر آية: (٨٧) .

(٣) سورة فصلت آية: (٤٤) .

(٥) سورة طه آية: (١١٤) .

إلى درجة رسول الله عند الله والفارق بينه ﷺ وبين أمين الوحي جبريل عليه السلام.. فالله تعالى يأمره ألا يعجل بالقرآن ولم يأمره أن يعجل أو يستعجل نزول القرآن.. فافهم الفرق بين المعنيين...

فالتالي لكتاب الله تعالى يسبح في أنوار كلام الله تعالى.. ويسبح في أنوار سبحات وروح رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن.. وفي هذا القدر كفاية.

كذلك الصور التي رآها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به.. ومنها من يزرع في يوم ويحصد في يوم وهو لم يلبث إلا قليلا من الليل.. وعذاب أهل الجحيم.. ونعيم أهل الجنة.. ثم الصعود إلى السموات. وتنبه جيدا إلى أن الصعود لم يكن إلى جهة ولا اتجاه.. فالله تعالى لا يحده جهة ولا اتجاه.. نقول إن كل هذا لا بد أن تفهم منه أن ما حدث قد حدث حيث لا زمان ولا مكان.. فالماضي والحاضر والمستقبل والمكان والزمان كل هذا من مدركات الجسد بشعوره وحواسه الأرضية.. بمعنى أنك لو غادرت المجموعة الشمسية التي

يحدد اليوم فيها بغروب الشمس وشروقها.. فإذا أسقطنا الشمس من حسابنا وذهبنا إلى حيث لا شمس ولا قمر.. فكيف سنقيس الزمن !!؟

ولذلك ينبهنا الله تعالى إلى هذه المعاني بآياته الكريمة

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۗ ﴾ (١)

ويقول ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٢)

فالقياس عند الله تعالى ليس بالشروق والغروب.. فهذا قياس لبصرك وجسدك.. أما الروح التي هي من أمر الله تعالى فلا يحجبها زماننا ولا مكاننا.. فافهم...

فانكشاف هذه الصور والأحداث لرسول الله ﷺ.. وانعدام الزمان والمكان.. يدل على أن الله تعالى قد أفاض عليه من علمه.. فرأى ﷺ ما قد كان وما هو كائن وما سيكون جميعا في آن واحد بصورة لا تكيف بعقل بشري..

(٢) سورة المعارج آية: (٤) .

(١) سورة الحج آية: (٤٧) .

ولأقرب لك هذا المعنى.. هب أنك مررت بحديقة
وسألت عنها فقالوا لك لقد كانت منزلا من قبل فهدمها صاحبها
واستزرعها حديقة.. فلما مررت بعد سنوات عليها لم تجدها..
ووجدت أن صاحبها قد بناها مصنعا.. وبعد سنوات وجدت أن
صاحب المصنع قد حوله إلى مدرسة مثلا ففي علمك البشرى
أن الحديقة قد فويت وأن المصنع كان موجودا ثم فنى..
والآن الموجودة هي المدرسة.. وكلها فى نظرك موجودات..
فانيات.. أما فى علم الله تعالى فالأرض هى الأرض وكل ما
عليها إنما هو صور توجد وتتلاشى. كالظلال ليس لها وجود
حقيقى..

وكذلك جميع المخلوقات فى الكون بلا استثناء يكون
وجودها وجودا مؤقتا.. أما دائم الوجود فهو الله تعالى..
الثابت الذى لا يتغير ولا يتبدل..

ولذلك يطلق الله تعالى على جميع الكائنات اسم
”الظلال“ فىقول جل شأنه ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَّلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٥٠﴾ (١) ..
فأنت مثلا ترى الناس تسجد لله طوعا.. أما السجود بالإكراه
فأنت لم تلمسه بعينيك.. فافهم هذه الدقيقة فتح الله عليك..
فسجود القهر بالله سارى فى كل الموجودات سواء المؤمن أو
الكافر.. فإن شئت أن تتعمق فى الفهم فانظر قوله تعالى
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣١﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٢﴾ .. فالبقاء الحق لله الحق وحده.. واسمه
تعالى الباقي.. واسمه الحى.. فمن بقى فبه ومن حى فبه..
وأنت ظل من الظلال.. وحقيقتك هى روحك ونفسك.. أما
جسدك فهو من الظلال..

فرسول الله ﷺ حينما يرى تلك الصور فى إسرائه
ومعراجه إنما يطلعه الله تعالى على ما شاء من علمه جل شأنه
فيرى فيه ما نسميه نحن بالماضى والمستقبل فى آن واحد..

(٢) الرحمن آية : (٢٦-٢٧) .

(١) سورة الرعد آية : (١٥) .

وصدق الله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

شَاءَ﴾ (١)

ولعلنا قد أجبنك عن تساؤلك السابق عن اللوح..
والقلم.. والله أعلم.

وقد سبق لنا القول بأن لفظ " الغيب " هو لفظ
نسبي.. فغيب اليوم هو حاضر الغد بالنسبة للزمان..
ومعجزات الرسول ﷺ في هذا الشأن كثيرة .. فقوله لسراقة
ابن مالك ” ارجع ولك سوار كسرى “ يدل بلا شك على
علم رسول الله اليقين بأن ملك كسرى سوف يؤول إلى
المسلمين.. وأن سراقة سوف يكون حيًا لم يمت بعد..
فوهبه ﷺ سوار كسرى وكتب له بذلك كتابا أنفذه عمر بن
الخطاب.

(١) سورة البقرة آية : (٢٥٥) .

وقوله ﷺ لزوجاته ” كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحَوَّابُ “ كما رواه الإمام أحمد وغيره وهو المكان الذى وقعت قريبا منه موقعة الجمل بين سيدنا على وسيدنا معاوية عليهما رضوان الله، هو إخبار منه ﷺ بما حدث للسيدة عائشة رضوان الله عليها.. ولذلك طلبت الرجوع عندما سمعت نباح الكلاب فى ذلك المكان فى موقعة الجمل..

وقوله ﷺ لسيدنا أبى ذر رضى الله عنه.. تعيش وحيدا وتموت وحيدا.. كان من معجزاته ﷺ.. فقد مات فى الطريق.. ولم يكن معه إلا ابنته.. فقال لها إن أنا متُّ فاخرجينى إلى الطريق لعل راكبا يرانى وقولى لهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله.. وقد فعلت كما أمرها أبوها..

وكذلك إخباره ﷺ بالفتن فى أمته وافتراقها على إحدى وسبعين فرقة.. وضعف المسلمين وتداعى الأمم عليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وهذا ما نحن فيه اليوم. وكثير وكثير مما يضيق المجال عن ذكره..

فإن قلت لي إن الله تعالى يقول ﴿ قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ (١) . أقول لك إنما هو يرد على المشركين الذين يطالبون بالخوارق والمعجزات عناداً ومكابرة.. وقد سبق التعرض لهذه النقطة في هذا الباب.

أما قوله تعالى ﴿ قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٢) . فسبق لك أن علمت أن الغيب درجات. منها الغيب النسبي.. ومنها الغيب المطلق.. وقد قال تعالى ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ (٣)

فالاستثناء موجود وهو بأمر الله تعالى ولمن يرتضى من عباده.. وعلى قدر الحاجة والحكمة من الإعلام بالغيب.. وهل قلنا نحن غير هذا!! ومن أحق من رسول الله ﷺ بهذا الاستثناء.

(٢) سورة النمل آية : (٦٥) .

(١) سورة الأنعام آية : (٥٠) .

(٣) سورة الجن آية : (٢٦-٢٧) .

ولا تعجب من قولنا هذا.. فإذا كان الله قد أطلعنا على
خبر السماء وعوالم ملكوته وأراه من آياته الكبرى.. فماذا
تكون الدنيا وأحداثها وغيبتها وما عليها وهي لا تساوي عند الله
جناح بعوضة !!

ورسول الله ﷺ له الشفاعة الكبرى يوم القيامة .. كما
تواترت به الأحاديث...

ولقد وَهَمَ قَوْمٌ فَقَالُوا عَنْ شَفَاعَتِهِ ﷺ إِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ
الصَّغَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ..

ونقول لهم.. وهل تحتاج الصغائر إلى شفاعة كبرى !!!
يقول الله تعالى ﴿ الَّذِينَ تَجَتَّوْنَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا
اللَّامَةَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةَ ﴾ (١).

فَاللَّامَةَ أَي الصَّغَائِرِ مَغْفُورٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى دُونَ شَفَاعَةٍ..

(١) سورة النجم آية : (٣٢) .

والناس تُعطى على قدر أقدارها.. والمواهب إنما تكون على قدر معطيها.. وهل هناك أعلى ولا أعظم درجة من محمد ﷺ.. فشفاعته إنما تكون على قدره وإن جأه عند الله لعظيم ﷺ. وإذا كان الشهيد يشفع في أهله. والصالحون يشفعون في ذراريهم.. فكيف برسول الله ﷺ!!!

ومن حديث الطبراني عن ابن عباس في حديث طويل ومنه قول رسول الله ﷺ ” فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بُعث بهم على النار وحتى إن مالكا خازن النار يقول : يا محمد ما تركت النار لغضب ربك في أمتك بقية “

ويروى أحمد والحاكم والطبراني والنسائي وأبو داود عن جابر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله ﷺ ” شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى “، ويروى الأمام أحمد عن ابن عمر قوله ﷺ ” خَيْرْتُ بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين !! لا ولكنها للمؤمنين المذنبين المتلوثين الخطائين “ حديث صحيح.

فإن قلت إن المرء بعمله يوم القيامة. وإن المرء يفرُّ من أخيه وأمه وأبيه قلنا لك إنما يفرُّ "المرء" ولا يفرُّ المؤمن.. فالكافر يقول ياليتنى كنت ترابا.. والمؤمن لا يقول ذلك بل إن المؤمنين لا يحزنهم الفزع الأكبر والكافرون أفئدتهم هواء بنص القرآن الكريم..

ويقول تعالى ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (١)، ويقول ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ (٢)، ويقول ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (٣)، فالشفاة ثابتة وهي بأمر الله تعالى.. وهي استثناء وإكرام منه جل شأنه لعباده المؤمنين ولا ينكرها إلا جاهل متنطع.

روى ابن ماجة عن عثمان قوله ﷺ "يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" حديث حسن، وروى

(٢) سورة يونس آية : (٣) .

(١) سورة البقرة آية : (٢٥٥) .

(٣) سورة طه آية : (١٠٩) .

أبو داود عن أبي الدرداء قوله ” يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته “ حديث حسن و يروى أحمد و مسلم عن ابن عباس قوله ﷺ ” ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفّعهم فيه “ حديث صحيح .

فإن قال قائل إن رسول الله ﷺ يقول لابنته السيدة فاطمة رضی الله عنها ” اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا “.

نقول صدق رسول الله ﷺ فإنه يعلم الناس .. وإنما كانت رسالته يعلم الناس ويحثهم على العمل .. وكذلك ليظهر عبوديته الكاملة لله تعالى .. فهو لا يغني من الله شيئا .. إلا بأمر الله تعالى والمؤمنون يدخلون الجنة بفضل الله تعالى وبرحمته وإلا فمن ذا الذي يعبد الله حق عبادته ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾^(١) بل إن رسول

(١) سورة يونس آية : (٥٨) .

اللَّهُ ﷺ يقول ” لن يدخل أحدكم الجنة بعمله.. قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته “ أو كما ذكره مسلم عن أبي هريرة في الحديث قاربوا وسددوا.. إلخ فما يغنى العمل عند الله إن لم يزكّه ويقبله فضلا منه وكرما.. ولكن رسالته ﷺ هيَ إِنَّمَا لِحَثِّ النَّاسِ عَلَى الْعَمَلِ فَافْهَمِ.

ورغم هذا فإنك تجد في الوجه المقابل ما ذكره ابن عابدين في حاشيته عن عمر بن الخطاب قول رسول الله ﷺ ” كل سبب ونسب منقطع إلا سببي ونسبي “ والمقصود به يوم القيامة، يقول عمر بن الخطاب ” لذلك تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب “.

ويروى ابن عساكر عن ابن عمر قوله ” كل سبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري “ حديث صحيح.

ويروى ابن منيع عن زيد بن أرقم ومعه بضعة عشر من الصحابة قوله ” شفاعتي يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها “ حديث صحيح.

واعلم أن كل ما كان معجزة لنبى.. جاز أن يكون
كرامة لولى من أتباعه .. وإنما تكون لهم كرامة بحسن
اتباعهم لمنهج نبيهم.. فكرامة الله لهم هي امتداد لمعجزات
نبيه.. فحسن اتباعهم لنبيهم أنار بصائرهم.. وزكى أرواحهم..
وطهر نفوسهم فأجرى الله على يديهم الكرامات لأنهم ما
صاروا إلى ما صاروا إليه إلا بحسن اتباعهم والإخلاص فيه..
وهذا هو الميراث الذى تعرضنا له.. ميراث العلم بالله وصفاء
القلوب وهو ميراث الأرواح والنفوس.. ألا ترى إلى الوالد فى
الدنيا كيف يربى أولاده ثم يورثهم من ملكه.. فكيف بالأب
الروحى.. مربى الأرواح ومغذيها ومعلمها.. ألا يورثها من
أنوار الله وأسرارها.

فعمر بن الخطاب وهو فى المدينة يرى سيدنا سارية فى
الشام يحارب فيحذره من التفاف الجيش حول الجبل..
ويقول : الجبل يا سارية الجبل.. ويسمعه سارية وهو فى الشام
ويلتفت ليرى جيش الأعداء يلتف حول الجبل..

وعثمان بن عفان رضى الله عنه يدخل عليه رجلان فى
رمضان فيقول لهما مفطران فى رمضان !!! أرى أثر الفتنة على
شفاهكم.. فيتعجبان من أمره ويقولان أنبوة بعد رسول الله..
لقد تحدثنا عن فلان ونحن قادمان فيقول سيدنا عثمان.. لا..
ولكنها فراسة المؤمن..

ويذكر ابن كثير فى الجزء السادس من موسوعته البداية
والنهاية المئات من هذه الكرامات ومنها ما كان لأبى عيسى
الأنصارى الحارثى حيث كانت عصاته تنير له الطريق ليلا،
وكذلك عبّاد بن بشر وأسيد بن حضير عندما كانا يسيران ليلا
ولهما ضياء ينير طريقهما فلما افترق كل منهما إلى بيته صار
مع كل منهما نور يضىء له. وكان خبيبا بن عدى أسيرا فى
مكة وعنده قطوف من العنب وما فى مكة يومذاك حبة
عنب، وكانت الملائكة تسلّم على عمران بن حصين وكان
البراء بن عازب مستجاب الدعوة. وغيرهم كثيرون رضى الله
عنهم أجمعين.

ولو قرأت سير الصحابة والصالحين لوجدت الكثير والكثير.. وكلها إكرام لرسول الله ﷺ ولمن اتبع هداه وسار على نهجه.. ولكننا نكتفى بالإشارة إليها حتى إذا رأيت رجلا صالحا أكرمه الله تعالى بكرامة فلا تتعجل بالإنكار عليه فإن هذه الكرامات هي إكرام لرسول الله ﷺ في صورة اتباعه المخلصين..

وبعد فإن كل ما ذكرته لك في هذا الباب.. إنما خاطبتك فيه بمنطقك وعقلك.. وليس هذا ما كنت أريده.. ولكن الله تعالى ألجم لساني عما سواه.. فاكتفيت بهذا القدر.. وما أهونه في الحديث عن رسول الله ﷺ.. فإنه فوق العقول.. وفوق الإدراك.. وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب.. أو ألقى السمع وهو شهيد..

● موجز الباب الخامس من كتاب الإيمان

فإن أردت إيجازاً لما قلنا في هذا الباب فنقول :

- محمد رسول الله ﷺ .. سيد البشر.. وإمام المرسلين.
- هو الروح الأعظم.. والنفس الأقدس.. والبشرية الكاملة.
- ما كان له معجزة جاز أن يكون كرامة لبعض أمته.
- أسرى به الله تعالى.. وعرج به إلى السماء ورأى الآية الكبرى حيث لا زمان ولا مكان.
- كل ما يسرى فيك من إيمان هو من نور إيمان رسول الله ﷺ.
- فضل الصلاة عليه لا يعد ولا يحصى وهى باب حب رسول الله ﷺ.
- نور القرآن فيه سر روحانية رسول الله ﷺ.
- لرسول الله ﷺ الشفاعة الكبرى يوم القيامة.
- حبه وحب آل بيته وصحابته فرض على كل مسلم.

* * *

وصلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله بكل صيغة قالها
مخلوق أو كررها مخلوق بعده من يوم أن خلق الله الدنيا إلى
ما لانهاية كما يليق بجلالك وجمالك وكمالك وكما تحب
وترضى.. وحتى ترضى عنا.. اللهم لا تحرمنا شفاعته واحشرنا
معه وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه.. واجمعنا عليه فى الدنيا
والآخرة يارب العالمين.. لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا
قوة إلا بك.

* * *